الأديب والمفكر أحمد ناجي أحمد لـ(الثورة):

تراجع ثقافة التضامن الوطني يستدعي ثورة جديدة

حوار/
محمد صالح الجرادي

قال: عندما كانت الثقافة متقدمة على السياسة قادت البلاد إلى الوحدة، وعندما أخذت السياسة وأمراء الحروب في التقدم أوشك اليمن أن يتحول إلى دويلات، وقال أيضاً: إذا أردنا إسقاط ثقافة التشظي فعلينا إسقاط ثقافة العنف المؤدي إليها .

مؤسسات الثقافة لم تعد ناهضة وافتقدت التأثير والفاعلية

الوضعية القائمة للحوار تفضي إلى شرعية التقسيم ابتداءً من الاقليمين إلى الستة الأقاليم

النخب السياسية الصاعدة إلى الحكم انفصلت عن القوة الجماهيرية، وبدأت الاشتغال على ثقافة التمييز الحزبي

ماحدث في الضالع وحضرموت كان يستدعي موقفاً ثقافياً يعيد الحالة الوطنية إلى وضعها السوي

ليست المشكلة في شكل الدولة، ولكن في مضمونها .. وكان ينبغي أن يكون الحوار على هذا الأساس

***لنبدأ من المستجدات الراهنة على الساحة الوطنية وهذا هو السؤال أين تقف الثقافة والمثقفون مما يحدث؟**

- الثقافة في أوضاع وظروف الأزمات في بلادنا، دائماً يكون وضعها ثانوياً، وتابعاً في الأصل، ولو لم تكن كذلك لما عاش الوطن أزمة بهذا الحجم.

وأعتقد أن هذه الأزمة هي عندما يكون الثقافي ثانوياً، والسياسي هو الأصل، ولذلك عندما كانت الثقافة في فترات سابقة متقدمة إلى حد ما على ما هو سياسي، قادت البلاد من التشطير إلى الوحدة، لكن عندما أخذت السياسة والسياسيون وأمراء الحروب، ومشائخ الضمان في التقدم إلى الخطوط الأمامية نكاد نرى اليمن يتحول إلى ست دول.

*** لكن هناك من يقول بتواطؤ المثقف والثقافة عموماً، ويعيد السبب في هذا التواجد الثانوي الذي أشرت إليه إلى المثقف نفسه؟**

- هذا واقع بالفعل، وجوهر المشكلة أن النظام السياسي قائم على استعداء الثقافي منذ ثورة 1948م وينبغي أن نقر بأن المثقف تابع كما هو أيضاً جائع، وصار في الحقيقة موظفاً – مع الأسف – لدى مختلف الأطراف، ولأنه كما قلت جائعاً فالجائع لا حرية له.

***هذا ما يتصل بالمثقف كمفرد، لكن ما يتعلق بالمؤسسات الثقافية؟**

- هي امتداد لهذه الحالة .. وهي في الحقيقة ظل للسياسي ولحركته في الحياة العامة فهي لا تملك التمويل ولا التأثير، الذي يمتلكه السياسي، وبالتالي لا يمكن أن نقول بالمطلق أن المثقف ومؤسسات الثقافة طرف في هذه الأزمات التي نعيشها.

*** "مقاطعاً" إنما هذا المثقف وهذه المؤسسة هما جزء من أزمات البلاد انطلاقاً من موقف التابع والمهادن كما أشرت أليس كذلك؟**

- ليس بهذا المفهوم، فالمثقف لم يكن طرفاً أو جزءاً من أزمات البلاد، إلا في مرحلة الجاوي، وكذلك مرحلة الأربعينيات ومرحلة النضال من أجل القيم الدستورية، والقيم المدنية الجديدة.

*** تعني الطرفية الفاعلة والمؤثرة للمثقف والثقافة؟**

- نعم .. ففي تلك الفترات كانت الثقافة هي الأصل وكانت بفعل ذلك تعيش اليمن حالة صحية بالتأكيد والمفارقة أيضا أن حركة التنوير السياسي وقتذاك كانت تستند إلى التنوير الثقافي، وهنا مأساتنا الآن إذ تتبدى في التراجع الخطير والمخيف ووصولنا إلى مرحلة أنا شخصياً لم أكن أتوقع أن أرى اليمن ست دول (أقاليم).

***"مقاطعاً" وهل كنتم تتوقعون شيئاً غير هذا بالنظر إلى حقائق في الواقع؟**

- لا ليس الأمر كذلك، أنا أريد أن أقول وبصفة شخصية لا فرق عندي الآن بين من يريد إقليمين أو ستة أقاليم، كما أنني انطلق من الأسف، إزاء الاتجاه الغالب نحو التقسيم مثلما هو تعبير شخصي عن مرارة ونكسة.

ودعني أقول لك أن المشكلة كما نراها ليست في شكل الدولة هل هي بسيطة أو مركبة لكن المشكلة هي في مضمون هذه الدولة، فنحن كيمنيين لم نناقش بعد المضمون الاستبدادي في إطار الدولة البسيطة وفي داخلها، بمعنى أننا لم نقدم معالجات حقيقية للمضمون الاستبدادي لقد ظلت الجريمة والمجرم بعيداً عن العقاب، وظلت الدولة البسيطة بمضمونها الاستبدادي تولد الفعل الانفصالي.

عن المضمون وليس الشكل

***هناك نقاش وحوار يذهب في اتجاه الدولة المركبة؟**

- هذا هو الخطأ وهذه هي المشكلة، وأعتقد في سياق المقارنات بالنسبة لي كمثقف، فأنا مع الوحدة الاندماجية كخيار أفضل من الإقليمين، ومع خيار الإقليمين كأفضل من الستة الأقاليم، إذاً من الخطأ أن يجري الحوار على شكل الدولة، ولكن ينبغي أن يكون الحوار حول مضمونها، وما يحدث في "موفمبيك" من حوار يفضي للأسف إلى شرعية التقسيم التي تأخذ مداها ابتداءً من الإقليمين إلى الستة..

*** سأعود لاحقاً معك لمناقشة هذه الجزئية، ولكن سأنطلق منها بإشارتك إلى مؤتمر الحوار, لأسأل عن مدى إمكانية أن يتحقق تغيير على صعيد الثقافة وظروف المشهد الثقافي تبعاً للمخرجات ونتائج المؤتمر المتوقعة.**

- أعتقد أن مؤتمر الحوار في أساسه هو انعكاس طبيعي لما يجري في الواقع, وهو في تقديري بمثابة خلط للأوراق حتى أنك لا تستطيع الآن أن تحدد من هو الانفصالي في الواقع، هل هو الذي يتظاهر في محافظات الجنوب من أجل استعادة دولته، أم ذلك الذي يضرب بالقذائف والرصاص خيمة عزاء في الضالع، أو قتل ابن حبريش في حضرموت.

*** "مقاطعاً" العفو .. كنت أسأل عن إمكانية أن يتحقق من مخرجات ونتائج الحوار المرتقبة تغيير في مشهد الثقافة والفعل الثقافي.**

- لا أؤمل ذلك من زاوية أن هناك موقفاً للمثقف والثقافة غير إيجابي في التعامل مع الأحداث والمستجدات في الواقع.

فعلى سبيل المثال كنت أتصور أن يقود حدث "الضالع" الأخير إلى تفجير موقف ثقافي متقدم يؤدي إلى محاكمة القتلة، كما يؤدي إلى خلق تعاطف واسع من كافة محافظات البلاد مع ضحايا الحدث، وأعني هنا أن فعلاً ثقافياً يحقق التعاطف الشعبي والجماهيري، والضغط على تقديم مرتكبي الجريمة إلى القصاص، كان يمكنه أن يعيد الحالة الوطنية إلى وضع سوي.. لكن للأسف أن يبقى اتهام الضحايا بأنهم انفصاليون بينما في الواقع أن القذيفة التي اتجهت إلى خيمة العزاء، هي الانفصالية، وكذلك الرصاصة التي توجهت إلى قلب أحد رموز قبائل حضرموت هي الانفصالية، ثم أن ما يحدث من رد الفعل من قبل إخواننا في محافظات الجنوب هو صدى انفصالي الفعل انفصالي في الأساس، وبالتالي علينا أن نعيد النظر، إذا ما وجدت ثقافة حقيقية، لأن هذه النتوءات لن يهدأ لها بال إلا بإحقاق العدالة، وتضمين الجرح الوطني، وترتيب بيتنا اليمني في الاتجاه الصحيح.

لو كنت صاحب قرار لفعلت

*** هذا الموقف المشار إليه سابقاً ألا تفترض معي أن تكون المبادرة في فعله من قبل اتحاد الأدباء والكتاب الذي أنت عضو في مجلسه التنفيذي؟**

- لم يحدث ذلك للأسف، ولو كنت شخصياً في موقع قرار في الاتحاد الآن، فإن حادثة الضالع، وكذلك ما حدث في حضرموت، لن تمر دون أن أدعو في أقل الأحوال إلى اعتصام دائم للأدباء أمام الاتحاد، ثم الدعوة إلى المجتمع المدني وإلى مختلف القوى بالخروج إلى الشوارع تعبيراً عن التضامن مع إخواننا في محافظات الجنوب، في محافظات الشمال أيضاً.

أعتقد أنه كان مهماً أن يتبنى الاتحاد وكذلك منظمات المجتمع المدني موقفاً عالياً ضد الفعل الانفصالي الذي يمارس في الواقع.

ويتحدد في توجيه القذائف والرصاص لإزهاق الأرواح, وموقفاً ضد الصدى الانفصالي المتمثل في الاعتداء على أصحاب البسطات من أبناء الشمال في محافظات الجنوب، بل كان ينبغي أن يكون هناك موقف وطني خالص ضد نظام فاسد يعيد إنتاج نفسه بصيغة الفعل ورد الفعل، لكن هذا لم يحدث.

*** نتفق أنه لم يحدث، إنما ما هو تفسيركم لعدم حدوثه؟**

- ليس هناك من تفسير أكثر من تبعية المثقف والثقافة لكل ما هو سياسي وأيضاً تمركز الثروة والسلطة وكل الإمكانيات بيد السياسي، المثقف ما زال يبحث عن حقه الآدمي في لقمة العيش، ومؤسسات الثقافة ليست ناهضة، مثلما هو حال كل منظمات المجتمع المدني، ولو أنها ناهضة وتدرك وظيفتها الثقافية لكان لها موقف الآن تجاه فعل منظم لتكريس الانفصال في قناعات الناس.. ولكانت أثبتت بالفعل تحشيدها للمجتمع المدني حتى الانتصار لإحقاق العدالة في القتلة والمجرمين وهذا الفعل هو الذي يصون الوحدة الوطنية وليست حوارات "موفمبيك".

ثورة من نوع آخر

*** ما الذي ينبغي فعله أمام ما أشرت إليه من تبعية وعجز المثقف ومؤسسات الثقافة؟**

- في اعتقادي لا بد من وجود نقابات حقيقية قادرة على تحريك الشارع، وتحويله إلى قوة إيجابية لاطاقة سلبية يخلقها الفعل وردوا الفعل السيئين وينتجها غياب الفعل الثقافي الحقيقي، ولا بد أيضاً أن ينتزع المثقف دوره من خلال ثورة جديدة لا تعني الخروج إلى الشوارع وإزهاق البلد في مزيد من الأزمات، ولكن ثورة في طرائق التفكير، لأنه إذا أردنا إسقاط فرضية الانفصال فعلينا أن نسقط فرضية العنف الذي يستهدف اليمنيين في الجنوب وفي الشمال أيضاً، وإعلاء ثقافة التضامن هذه الثقافة، للأسف انخفضت بعد ثورة الشباب وأصبح ما يهم أبناء حضرموت خاصاً بهم ومايهم أبناء تعز خاصاً بهم وهكذا ينسحب الحال على بقية مناطق البلد وحين نقول بغياب ثقافة التضامن نعني غياب المضمون الأخلاقي للتغيير وللثورة، وهنا تأتي حاجة المثقف والمجتمع إلى ثورة جديدة تعيد الاعتبار للبعد الأخلاقي والقيمي وبهذا نستطيع أن نقول أن دور المثقف سيكون تنويريا ودعويا يسعى إلى تعزيز السلم الاجتماعي ويواجه محاولات تعزيز المشكلة القائمة والتي تتجسد بوضوح في أن الواقع المتخلف يعيد إنتاج نفسه وأن مصالح هائلة لقوى الفساد تحاول إعاقة التغيير وإعادة إنتاج تشظي الشخصية اليمنية بأكثر من شكل.

***"مقاطعا" أجد في حديثك هنا مناسبة للعودة إلى مناقشة جزئية طبيعة الحوار القائم بين مختلف القوى في مؤتمر وطني شامل واشارتك إلى أن شرعية التقسيم في ما يفضي إليه الحوار؟ وهنا أسأل ما الذي يمكن أن تؤدي إليه هذه الشرعية وفقا لقولك؟**

- أولا دعني أوجه السؤال بطريقة مختلفة طالما كان الحديث عن شكل ومضمون الدولة لأقول ما الذي سيفضي إليه غياب الحوار في مضمون الدولة؟

- أقول أن الحوار في شكل الدولة هو يعكس تهربنا كيمنيين من مناقشة استحقاق قدم الناس من أجله شهداء في الساحات، هذا الاستحقاق يتمثل في إرساء المواطنة المتساوية وصون الحريات والحقوق وبناء الدولة المدنية الديمقراطية الحديثة والأصل أن نتناقش حول هذا المضمون للدولة لاشكلها.

وفي الواقع كنا نتوقع من حكومة الوفاق أن ترسخ هذه المضامين لا أن تعمل وفق القوائم الحزبية والتمييز الحزبي لأن هكذا ثقافة تؤدي إلى التمييز الحزبي أو العائلي أو أي شكل آخر من التمييز هو في الأساس انتقاص من المواطنة المتساوية ومن قيم الدولة المدنية وقبل ذلك انتقاص من دماء الشهداء والجرحى وبالتالي الانشغال بالمحاصصات والتعيينات من موقع مدير عام إلى نائب وزير فهو انتهاك لكل هذه القيم..وانتكاسة للثورة وخيانة للشهداء، هذا جانب أما الجانب الآخر هو أن الشهداء لم يسقطوا لكي تتفاوض النخب السياسية الصاعدة إلى الحكم مع قاطع الكهرباء ومفجر أنبوب النفط.

حكومة الوفاق افتقدت إلى ثقتها بالجماهير العريضة التي ملأت ساحات الوطن وكان يمكن أن تشكل لها ولمهامها الوطنية سنداً وعوناً في تأمين وترسيخ الأمن والسلم الاجتماعي وحماية المصالح والخدمات العامة.

تمييز ومحاصصات

*** الحكومة الوفاقية تبرر وجودها على أساس تسيير مرحلة انتقالية وإنجاز بنود المبادرة الخليجية؟**

- هذا لا يلغي أن يكون لها دور ينطلق من أحلام الملايين الذين قادوها إلى سدة الحكم.

ياعزيزي الأصل أن حكومة الوفاق انفصلت عن القوة الجماهيرية والعمق الشعبي والذي كان يمكن أن يعطيها مدى أوسع للعمل على التغيير الخلاق، نعم انفصلت ومنذ لحظتها الأولى اشتغلت على المحاصصة في الوظائف وقدمت أداء يشير إلى تمييز حزبي واضح .

لقد نهشت مضامين الدولة المدنية والديمقراطية مثل سابقاتها من الحكومات وإذا كانت سابقاتها مارست هذا المضمون من التمييز على أساس عائلي فإنها - أي حكومة الوفاق - مارست التمييز على أساس حزبي وهذا مؤسف.

في وقتٍ ما حين تمطرُ السماء

للشاعرة الجنوب أفريقية:
جينا ملوف

في وقتٍ ما حين تمطرُ السماء
اتبسّم لي
أستحضرُ لحظاتِ الطفولة
حين كنتُ أجالسُني
وأتساءلُ: لِمَ الناس يعوزون ثياباً!!
***
في وقتٍ ما حين تمطرُ السماء
أستحضرُ اللحظات
حين كنتُ أركضُ صوبَ المطر
وأصيح: نسي - نسي ملانجانا
متى سأكبرُ؟
سأكبرُ غداً!.
***
في وقتٍ ما حين تمطرُ السماء
أستحضرُ اللحظات
حين كنتُ أرقبُ الماعز
تعدو هرباً من المطر
و الخرافُ تتراءى في حينها مبتهجة
***
في وقتٍ ما حين تمطرُ السماء
أستحضرُ اللحظات
حين كنا ننزع ثيابنا
و نحمل صُرَّات زينا المدرسي و كُتبُنا المتواضعة
على رؤوسنا
لنعبر النهر صوب المدرسة.
***
في وقتٍ ما حين تمطرُ السماء
اتذكّر اللحظات
حين كانت تمطرُ لساعاتٍ بغزارة
لتملأ برميلنا
فلن نصبح بحاجةٍ لجلبِ الماء
من النهر ليومٍ أو ليومين.
***
في وقتٍ ما حين تمطرُ السماء
يهطلُ بغزارة دون توقُّف
يحضرني أُناسٌ
لا وجهة لديهم للذهاب
ولا مأوى
ولا زاد يأكلوه
إلاّ من ماء المطر ليرتوون
***
في وقتٍ ما حين تمطرُ السماء
حينٍ كانت تمطر لأيامٍ بغزارة
أتذكّر الأمهات
من أنجبن داخلَ مخيّمات المحتلّين
تحت وقايات من بلاستيك
و تحت رحمةِ ريحٍ عاتيةٍ باردة.
***
في وقتٍ ما حين تمطرُ السماء
أستحضرُ الباحثين عن وظائفَ لامشروعة
في مدنٍ كبرى
يتنصّلوُن من عربات الشرطة في المطر
علّ الظلام يحلّ
كي يجدون ركناً مخضلاً يختبئون فيه
***
في وقتٍ ما حين تمطرُ السماء
يهطلُ بغزارة و يشاطرنا البَرَد،
تحضرني معيشة السجناء
بداخل جميع سجون الدنيا
هل يا ترى مازالوا يحبون
رؤية قوس قزح بعد المطر!!
***
في وقتٍ ما حين تمطرُ السماء
و حبّات البَرَد تتشبّث بالعُشب
لا أستطيع تصورٌ مرآها كأسنانٍ،
العديد من أسنان أصدقاء متبسِّمون
وأتمنى لو كل امرئٍ بخلافهم آنذاك
لديه شيئٌ ما يمنحهم ابتسامة.

ترجمة: بسام جوهر